٧ بشر بن أبى أرطأة الذراع الأيمن فى تحرير مصر

يخطئ مَنْ يظن أن الإسلام دخل مصر فاتحاً، أو حتى مَنْ يبالغ عن عمد وسوء قصد فيقول: غازياً ففى هذا الوصف لدخول الإسلام مصر تجاوز واجتراء، تجاوز للمعنى العظيم الذى أحدثه الإسلام بدخوله مصر، واجتراء على هذا المعنى السامى، فالإسلام لم يكن فى يوم من الأيام فاتحاً أو غازياً، يفتح البلاد ويغزوها بحد السيف، إنما الإسلام كان يحررها من تسلط واستبعاد إمبراطوريتين فى العالم القديم ـ الفُرس والرومان ـ اللتين ذاقت منهما الأمم والشعوب سوء العذاب.

ومصر بالذات ـ كما يرى المنصفون من المؤرخين ـ كانت تقاوم الرومان، ولكن بدون جدوى.. ويوم أحلت عليها طلائع الإيمان كانت مُعَدَّةً ومهيأة تماماً لاستقبالها.. فليس مصادفة أن يسارع أهلها إلى هؤلاء المؤمنين الذين يدخلون البلاد وعلى ألسنتهم «الله أكبر» تدوى، فتملأ الأرض رحمة وعدلا، فتطمئن النفوس التى وجدت فى الإسلام خيرَ خلاصٍ من الرومان واستعبادهم.. ومن هؤلاء الذين شكلوا طلائع كتائب الإسلام إلى مصر.. بِشْر بى أبى أرْطَأة.

وبشر ابن أبى أرطأة المعروف فى الإسكندرية بسيدى بِشْر، من صحابة رسول الله ﷺ، وإليه تُنسب الكثير من المنشآت، وأهمها مسجده الذى يوجد به ضريح يضم جثمانه الطاهر، وبه أيضاً تسمى بعض الشوارع والميادين بالعاصمة الثانية فى مصر، كما تُنسب إليه بعض الدور التجارية الموجوده الآن بالإسكندرية.... هذا الصحابى الجليل الذى ترجح أغلب المصادر بأنه هو الموجود بالإسكندرية قد وفد إلى مصر أيام الفتح الإسلامى كواحد من المجاهدين فى سبيل نشر الدعوة

الإسلامية، وقد أبلى بلاءً حسناً فى الحروب التى قادها عمرو بن العاص، مع الرومان لتحريرمصر.

ولعل بشر بن أبى أرطأة قد شرف بهذا العمل الكبير وهوالاشتراك فى تحرير مصر،مع غيره من المسلمين، حيث إنه لم يشارك فى غزوات النبى ﷺ، وذلك لصغر سنَه، كما تذهب إلى ذلك بعض الروايات والمراجع القديمة والحديثة، وفى مقدمتها «دَرُّ السَّحابة فيمن دخَلَ مصر من الصحابة» و «مساجد مصر».

لقد جاء فى كتاب «دَرُّ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة أن بشرَ بن أبى أرطأة كان من صحابة رسول الله ﷺ، وأنه شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص من قِبلَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وأنه اختلط بأهلها،وكان من شيعَة معاوية ابن أبى سفيان، وشهد معه من قبل معركة صفين، وأنه تولى إمارة البحرين فى خلافة معاوية لقاء مساندته له فى صراعه ضد على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

والحق أن اختيار بشر بن أبى أرطأة طريقه إلى جانب معاوية بن أبى سفيان كان من الاختيارات المحرجة فى حياة كثير من المؤمنين، ومنهم هذا الصحابى الجليل، إذ كيف يكون هذا الاختيار غير صعب وهو مبنى على الوقوف فى مواجهة على ابن أبى طالب آخر الخلفاء الراشدين، وابن عمّ النبى ﷺ، وزوج ابنته فاطمة الزهراء،رضى الله عنها،وصفى النبى، وفارس الإسلام، وأبو الحسن والحسين ريحانتا رسول الله ﷺ؟

ثم كيف يشترك فى معركة ـ أعنى «صفِّين» ـ يكون طرفها الآخر من المسلمين، وقد عَهِدَ النبى ﷺ للمسلم ألاَّ يضعَ سيفاً على عُنق أخيه المَسلم، مهما تكن الأسباب والعلل؟ وكيف يقبل المسلمون أن يسهموا فى إذكاء نار الفتنة التى فرقت جمعهم وتماسكهم شيعاً وأحزاباً؟ فتنة لم تنته إلى يومنا هذا؟

لكن معاوية بدهائه وحيلته استطاع أن يقنع بشر بن أبى أرطأة، كما استطاع من قبل إقناع غيره من كبار الصحابة، مصوراً لهم أنهم إنما يفعلون ذلك كى يصلوا إلى قتلة عثمان بن عفان رضى الله عنه للثأر منهم.. وليس الخروج إلى «صفين»

معناه حربَ عليٍّ بن أبى طالب كرم الله وجهه، وسفك الدماء الذكية الطاهرة للمؤمنين. . ومن عجيب الأمور أن هذه الخدعة قد انطلت على الكثيرين، فلم يتنبهوا إلى أن معاوية يصنع ذلك لنفسه إلاَّ بعد فوات الأوان ووقوع الفتنة.

وعلى هذا خرج بِشْر بن أبى أرطأة مع مَنْ خرج لملاقاة على بن أبى طالب فى صفين، وحدث ماحدث ،وتواترت الأحداث من بعدها، وتأكد المؤمنون أن معاوية لم يكن يبحث ـ كما قال ـ عن قتلة ثالث الخلفاء الراشدين عثمان رضى الله عنه، وإنما كان هدفه التخلص من رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب كرم الله وجهه، حتى يمكنه تحويل الخلافة الراشدة إلى مُلْكٍ عَضُوض له ولأبنائه وأحفاده من بعده،وسفك دماء المؤمنين.

وهنا أدرك بشر بن أبى أرطأة ـ كما تذكرالرويات التاريخية ـ الحيلة الماكرة، ولكن بعد فوات الأوان،وبعد أن أصبح معاوية بن أبى سْفيان من القوة بحيث يستحيل التمرد عليه ومجاهرته بالعداوة. . ويفضل بِشْرُ الصمت،كغيره ممن سالموا معاوية، خوفاً من بطشه، بل والرحيل إلى مصر، تلك التى كان قد قَضَى فيها ما قضَى أيام الفتح الإسلامى مع عمرو بن العاص، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

نقول لم يجد هذا الصحابى الجليل مكاناً فيه الأمن والأمان خيراً من مصر يلوذ به من الأمويين الذين استفحل بطشهم، واستشرى شرهم، خاصة مع أهل البيت، وكل من يفكر حتى فى مناصرتهم، أو يعترف بفضلهم على العالمين. وهل هناك فضل أكبر من أن يكون محمد ﷺ هو أساس هذا البيت الشريف!؟

وفى مصر ـ أو بالتحديد على واحد من سواحلها بالإسكندرية ـ عاش هذا الصحابى ما بقى له من سنوات فى حياته، فكان مثالاً طيباً. لصُحْبَة مباركة، هى صحبة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وكان بيته ومسجده ملتقى لمن آمن بمحمد ورسالته، يحدوه فى ذلك أمران:

أما أولهما فهو من الصحابة. وكم كان لهذا الأمر من تقدير وتقديس عند الناس، فما زال الإسلام فى بداياته لم يمض عليه قرن من الزمان، ومازالت

ذكرى انتصاراته ماثلة فى الوجدان، ومازال الناس فى كل مكان دخله الإسلام يتشوقون إلى رموزه، وفى مقدمة هذه الرموز أصحاب محمد ﷺ.

وأمَّا الأمر الثانى الذى جعل الناس يُقبلون على هذا الصحابى الجليل بشر بن أبى أرطأة فهو أنه كان من الذين أبلوا بلاءً حسناً فى تحرير مصر من الرومان، ودخول أهلها فى دين الله أفواجا، ونشر مبادئ هذا الدين وقيمه القائمة أساساً على العدل والمساواة، فليس هناك فضل لمسلم على مسلم إلا بالتقوى، وقد استشعر الناس هذه المعانى جميعها فى هذا الصحابى الجليل.

وهكذا استقر هذا الصحابى الجليل بالإسكندرية إلى آخر أيام حياته، حتى أنه بعد أن فاضت روحه الطاهرة بنى له مسجداً فى الحى الذى كان يسكنه.. ونُسب الحى بأكمله إليه، وهو المعروف الآن بسيدى بِشْر، أحد أحياء الإسكندرية الآن، تخليداً لاسم هذه الصحابى الجليل الذى اختار هذه المدينة دون غيرها من المدن العربية أو المصرية.

* * *